ثانياً: فقه العقود في الإسلام:

في هذه الأيام المباركة من شهر رمضان المعظم يطيب لي أن التقي والسادة القراء الكرام على صفحات مجلة الخليج الغراء. ويطيب لي أيضاً أن يكون لقاؤنا على مائدة القرآن الكريم والذي شرف هذا الشهر بنزوله فيه، وعلى مائدة السنة المطهرة المبينة للقرآن الكريم. ونختار من بين ما اشتمل عليه القرآن والسنة موضوعاً يمثل جانباً هاماً من جوانب الإسلام، ألا وهو المعاملات. إن الإسلام كما نزل به القرآن الكريم يشتمل على العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات. وتكاد المعاملات أن تمثل جماع الإسلام كله، حيث إن الأخلاق إنما تظهر عند ممارسة التعامل مع الناس، كذلك فإن العبادات إن لم يظهر أثرها على المعاملات فلا فائدة منها، يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: **«مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»**، ويقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ كذلك نرى العقيدة الصحيحة تنعكس على المعاملات بين الناس **«لَيْسَ المُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ»** أي أن المعاملات تمثل خلاصة الإسلام حيث جاء الإسلام لإصلاح الدنيا وسياستها في كل جنباتها، ولذلك كان من المنطقي أن يحصر النبي صلوات الله وسلامه عليه الدين كله في المعاملات، حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه **«الدين المعاملة»** وهذا تعبير يفيد الحصر والقصر أي أن الدين محصور في المعاملة ومقصور عليها.

ومن ثم فإن المعاملات وممارستها على هدى الإسلام تمثل صحة العقيدة وقبول العبادة، ومتانة وعظمة الأخلاق. الأمر الذي يوجب علينا أن نوليها الكثير من

العناية، وأن نبين ضوابطها وأصولها وشروط صحتها وآثارها عندما تقع صواباً، وآثارها عندما تقع على خلاف ذلك.

وبمشيئة الله تعالى سنعرض في حلقات متتابعة لبعض المعاملات التي يمارسها الناس في حياتهم اليومية موضحين الوجه الإسلامي لهذه المعاملات، كي يطمئن صاحب الممارسات الصحيحة على سلامة معاملاته، ويحاول من يقع في بعض الممارسات الخاطئة أن يقوِّم سلوكه، ويعدل مواقفه، ليكون ملتزماً بأوامر الله تعالى وتعليماته فيجنى ثمرات الالتزام بهذه التعليمات.

وبادئ ذي بدء في هذا الموضوع ومقدمة المقدمات التي ينبغي أن يعلمها كل من يمارس نوعاً من أنواع المعاملات، هي أن يحدد نيته التي تقف وراء هذا التعامل الذي يقوم به، فالنية في الإسلام هي مناط قبول الأعمال أو عدم قبولها، ففي الحديث الصحيح **«اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»** فالنظر إلى القلب يقصد به معرفة النية التي يكنها العامل في قلبه، وفي الحديث الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل عصبية فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**.

فأثر النية في أعمالنا من المسلمات في الإسلام، والتي ثبتت بكل أوجه الثبوت من النقل والعقل، ولعل أشهر ما نقل في هذا الخصوص الحديث الذي يحفظه العامة من الناس، والمتفق عليه، والذي صدر به البخاري رحمه الله تعالى كتابه: «الجامع الصحيح» من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول رسول الله ﷺ: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لكل امْرِئٍ مَا نَوَى، مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ**

وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». ففي هذا الحديث تأكيد لمكانة النية في المعاملات بشتى طرق التوكيد، ففيه قصر للأعمال على النيات «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» وتكرار لهذه الحقيقة على المستوى الفردي «**وَإِنَّمَا لكل امْرِئٍ مَا نَوَى**» ثم مثال لعمل قصد به وجه الله، وآخر قصد به غير وجه الله تعالى، وجزاء كل عمل منهما.

هذا عن النقل، أما العقل، فإنه لا يقبل في عرف العقلاء أن تعمل لشخص ثم تطلب أجرك من شخص آخر، فالمعقول أن يطلب الشخص أجره ممن عمل له، وفي الحديث يقال لمن أشرك في عمله، خذ أجرك ممن عملت له. فمن تصدق ليقال إنه كريم أو تعلم العلم ليقال إنه عالم أو بني مشروعاً لينتخبه الناس في المجالس النيابية، كل هؤلاء وغيرهم ممن عملوا لدى البشر ينبغي أن يطلبوا جزاءهم من البشر، والبشر فعلاً يعطون أمثال هؤلاء أجرهم، فيمتدحون الباذل للأموال ويقولون إنه كريم، ويقولون عن الثاني إنه عالم، وينتخبون الثالث في المجالس النيابية، فهم في الحقيقة قد نالوا أجورهم ممن عملوا لهم.

ومن ثم فإننا نطلب من القراء الكرام الذين سيتابعون هذه الحلقات من «المعاملات الإسلامية» أن يستحضروا النية الصالحة عند بدء أي عمل من الأعمال، وأن يخلصوا نياتهم لله رب العالمين في كل معاملة يدخلون فيها، في كل عقد يجرونه، أو شراكة يقيمونها. فإذا عاملت أخي معاملة منضبطة على الأصول الشرعية، فلتكن النية عندي أن الله أمرني بذلك، وإذا التزمت في تعاملاتي المختلفة، فليكن ذلك لأن الله تعالى أمرني بذلك، وإذا أقمت مشروعاً إنتاجياً فلتكن نيتي من وراء ذلك تحقيق

مصالح المجتمع التي أمر الله تعالى بها، ومنها مصلحتي الشخصية في الحصول على الربح وتحقيق الغني وزيادة ثروة المجتمع بالتالي.

فعلينا أن نبدأ مسيرتنا في شتى المعاملات من النية الصالحة، قاصدين وجه الله تعالى.

وهيا بنا نستعرض أنواعاً من المعاملات الإسلامية، تحت هذا العنوان الذي يعبر عن أهمية المعاملة في هذا الدين القويم حيث ترتبط معاملاتنا بإسلامنا ويكون هوانا في كل شيء هو ما جاء به الإسلام. سنقدم بعون الله تعالى عرضاً مبسطاً لعدد من المعاملات، يتعرف منه القارئ الكريم على ماهية كل معاملة، وضوابطها وشروطها، وآثارها ونتائجها، آملين أن يمثل ذلك إضافة إلى ثقافته الإسلامية.

هذا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل